مصادر القيم الموجهة لسلوك الطفل الجزائري
دراسة ميدانية على عينة من الأسر المقيمة بمدينة فرندة

بن مفتاح خيرة، طالبة دكتوراه علوم بجامعة وهران 2
الأستاذ الدكتور مراد مولاي حاج، جامعة وهران 02

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على أهم المصادر المنتجة والناقلة للقيم الموجهة لسلوك الطفل في المجتمع الجزائري، في ظل الثورة التكنولوجية التي يشهدها العالم خاصة في مجال الإعلام والاتصال، حيث استخدم المنهج الوصفي للتحقق من الافتراض الذي تبنته الدراسة من خلال استجواب عينة قصديه تتكون من 60 أسرة مقيمة بمدينة فرندة بولاية تيارت تم اختيارها بطريقة غير احتمالية، عن طريق الاستبيان المعد من قبلنا. وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج تتمحور حول مصدرين متباينين من حيث طريقة إنتاج ونقل القيم للطفل الجزائري، والمتمثلين أساسا في الأسرة بأساليبها التنشيئية الصارمة، وعناصر الربط بشبكة الانترنيت والبث التلفزيوني بقنواته الفضائية كوسيلتين تكنولوجيتين بأساليب عرضها المبهر والجذاب ومحتوياتها (الراقية والمتدنية) الناقلة لجملة من القيم التي قد تتوافق وما يوجد في المحيط الأسري للطفل فتعززها وتقويها، أو القيم التي تتناقض مع ما يتعلمه الطفل خلال عملية تنشئته – إيجابا وسلبا-.

الكلمات المفتاحية: الطفل، الأسرة، تكنولوجيا الإعلام والاتصال، القيم، السلوك، التنشئة الاجتماعية.

Summary: This research aims to shed light on the most important productive and transmitting values towards to the behavior of the child in the Algerian society in light of the technological revolution taking place, especially in the field of information and communication. As we used the descriptive method to verify the

assumption adopted by the study through questioning a chosen sample consisting of **60** families living in the town of Frenda, in the wilaya of Tiaret. They were chosen in a no probabilistic way, through the questionnaire that we prepared. In fact, the research has led to a number of results showing two distinct methods of educating and transferring of values to the Algerian child, and represented by mainly by a kind of family with strict upbringing methods, and linking elements as the access to Internet and television broadcasting satellite with its channels as two technological means displaying in dazzling and attractive ways with contents (with high and low quality). These ways might be carrying a number of values that could correspond to what there is in the family environment for the child,, and strengthen and intensify it, or values that are contrary to what the child learns through upbringing - positively and negatively-..

مقدمة:

نالت القيم من الأهمية ما لم تبلغه العديد من المواضيع المدروسة،ذلك لأنها أحد أهم محاور تربية الفرد وضبط سلوكه، تحدد المرغوب وغير المرغوب في تصرفاته، كما أنها تمنح الأشياء وزنا وقيمة وتوفر للأفراد الحافز لتحقيق ذواتهم وإثبات وجودهم. وقد جاءت هذه الدراسة للبحث عن أهم المصادر المنتجة لها، مع التركيز على مصدرين أساسين ألا وهما الأسرة وتكنولوجيا الإعلام والاتصال، كونهما من الجماعات المرجعية الأكثر إشرافا على التنشئة الاجتماعية للفرد بصفة عامة والطفل بصفة أخص.

الإشكالية:

تعد تكنولوجيا الإعلام والاتصال أحد أهم العناصر التي كان لها عظيم الأثر في حدوث تغيرات مست كل المجتمعات بشتى البنيات والمؤسسات التي تشكلها، حيث أنها امتدت بمكانتها إلى أدق الأجزاء التي يتكون منها المجتمع وفي مقدمتها الأسرة، التي تنسب إليها أهم الوظائف ألا وهي التنشئة الاجتماعية، التي من خلالها يتحول الأفراد – الأطفال على وجه الخصوص- من كائنات بيولوجية إلى كائنات اجتماعية لها نظم أساسية، تسيرهم خلال تفاعلهم اليومي مع المحيط

الاجتماعي الذي ينشئون فيه، كذلك تساعد الأفراد على غرس هوية قومية وتكوين شخصياتهم من خلال أخذ القيم والمعايير الاجتماعية المحددة لسلوكياتهم وأدوارهم داخل الجماعات الاجتماعية التي ينتمون إليها، وفي واجهتها الأسرة كمؤسسة أولية للتنشئة الاجتماعية.

إن القيم هي ما يحدد سلوك الأفراد وأفعالهم ومواقفهم الاجتماعية، وتعتبر من الركائز الهامة التي يستندون عليها في تحقيق أهدافهم، لكن مع التطور الذي يشهده العصر أصبحت هذه الأخيرة تنقل إلى الأفراد والأطفال خاصة عن طريق عدة مصادر وأوعية تختلف مضامينها باختلاف طبيعتها ومكان نشأتها وظروف تلقيها واستخدامها، وقد جاء هذا البحث للكشف عن هذه المصادر خاصة في المجتمع محل الدراسة، وعليه نطر التساؤل التالي: ما هي المصادر المنتجة للقيم الموجهة لسلوك الطفل الجزائري؟ وللإجابة عن التساؤل الرئيسي وجب الإجابة على التساؤلات الفرعية التالية:

1) كيف تساهم الأسرة في نقل القيم لأطفالها؟
2) كيف تساهم تكنولوجيا الإعلام والاتصال في نقل القيم للأطفال المستخدمين لها؟
3) ما هي أهم القيم الموجهة لسلوك الأطفال والتي تنقلها كل من الأسرة وتكنولوجيا الإعلام والاتصال لهم؟

فرضيات الدراسة:

الفرضية العامة: تعد **الأسرةوتكنولوجيا الإعلام والاتصال** من أهم المصادر الناقلة للقيم الموجهة لسلوك الطفل في المجتمع الجزائري.

الفرضيات الجزئية:

1) تقوم الأسرة بإعادة إنتاج القيم لأطفالها عن طريق الضبط والتنشئة الاجتماعية الصارمة.

2) تساهم تكنولوجيا الإعلام والاتصال في نقل القيم الغربية للأطفال من خلال المضامين الجذابة والمتنوعة المعروضة عبر القنوات التلفزيونية الفضائية والانترنت.

3) تعد القيم الدينية والقيم الاجتماعية من أهم القيم التي يكتسبها الأطفال من الأسرة وتكنولوجيا الإعلام والاتصال.

أهداف الدراسة:

1. الإشارة إلى دور الأسرة في نقل القيم عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال.
2. التعرف على أساليب التنشئة الأسرية المنتهجة لنقل القيم لأطفالها.
3. الإشارة إلى دور تكنولوجيا الإعلام والاتصال في نقل وغرس القيم.
4. التعرف على أساليب القنوات التلفزيونية الفضائية المستعملة لنقل وترسيخ القيم للأطفال.
5. الإشارة إلى دور الانترنيت في إنتاج ونقل القيم للأطفال.
6. التعرف على أهم القيم التي تساهم هذي التقنيات في نقلها للأطفال.

مفاهيم ومصطلحات الدراسة:

الطفل: "هو الذي تمتد فترته العمرية من الميلاد وحتى طور البلوغ، وتنقسم هذه الفترة إلى مرحلتين: المرحلة المبكرة التي تمتد من الميلاد حتى السادسة تقريبا، والطفولة المتأخرة التي تمتد من السادسة إلى الثانية عشر سنة، وفي هذه المرحلة يكتسب الطفل الوعي، المعرفة وسائر مقومات الثقافة ويكون قابلا للتكيف والتلاؤم مع البناء الثقافي والاجتماعي المحيط به. وفي هذه المرحلة يقطع الطفل شوطا كبيرا من النمو العقلي، والذي يتمثل في نمو الذكاء والتفكير والوصول إلى مرحلة القدرة على تكوين المفاهيم[1].

الأسرة: "درج العرف في تراث الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع على أن الأسر هي وحدات قرابية وأن الأسرة ينبغي تعريفها في سياق الإقامة المشتركة".[2]

والأسرة الجزائرية كما يعرفها القانون الجزائري هي "الخلية الأساسية للمجتمع وتتكون من أشخاص تجمعهم صلة الزوجية وصلة القرابة".[3]

تكنولوجيا الإعلام والاتصال: حسب سمير عبده، تعرف التكنولوجيا بأنها "الأدوات والوسائل التي تستخدم لأغراض عملية تطبيقية، والتي يستعين بها الإنسان في عمله لإكمال قواه وقدراته وتلبية تلك الحاجيات التي تظهر في إطار ظروفه الاجتماعية".[4]

أما تكنولوجيا الإعلام والاتصال فهي "مجموعة من التقنيات والأدوات أو الوسائل أو النظم المختلفة التي يتم توظيفها لمعالجة المضمون أو المحتوى الإعلامي والاتصالي الذي يراد توصيله من خلال عملية الاتصال الجماهيري أو الشخصي أو الجمعي أو التنظيمي أو الوسطي، أو التي يتم من خلالها جمع المعلومات والبيانات المسموعة أو المكتوبة أو المصورة، أو المرسومة أو الرقمية من خلال الحاسبات الالكترونية أو الكهربائية حسب مرحلة التطور التاريخي لوسائل الاتصال والمجالات التي يشملها التطور."[5]

القيم: يعرفها **عبد الرحمان عزي** بأنها "ما يرتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية، ويكون مصدرها الدين"[6]، أي أن القيمة هي "ما يعلو عن الشيء ويرتبط بالمعاني الكامنة في الدين. إعلاميا فإن دراسة الأثر وتأثيرات وسائل الإعلام لا تتم من دون مرجعية تربط محتوى وسائل الإعلام بالقيمة."[7]

وهي مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه، وهي فكرة يعتقد بها الإنسان ويعتنقها قصد التكيف مع جماعته ومجتمعه، وقد ميز **روكيتش** بين نوعين من القيم، القيم الغائية التي تعكس الأهداف التي يسعى الفرد إلى تحقيقها كالحرية

والاحترام... وقيم وسائلية أو الأنماط السلوكية المتبعة لتحقيق الأهداف الغائية مثل الطاعة والشجاعة...

أما **عبد الله بوجلال** فيرى أن القيم "عبارة عن نظام معقد يتضمن أحكاما تقويمية إيجابية وسلبية تبدأ من القبول إلى الرفض، ذات طابع فكري ومزاجي نحو الأشياء وموضوعات الحياة وحتى الأشخاص، وهي تعكس أهدافنا واهتماماتنا وحاجاتنا والنظام الاجتماعي والثقافة التي ينشأ فيها بما تتضمنه من نواحي دينية واقتصادية وعلمية."[8]

السلوك: "على الرغم من أن بعض الباحثين يستخدمون مصطلحي: فعل وسلوك بنفس المعنى، إلا أن اصطلاح السلوك أعم من الفعل لأنه يشمل كل ما يمارسه الفرد، ويفكر فيه، ويشعر به، بغض النظر عن القصد والمعنى الذي ينطوي عليه السلوك بالنسبة للفرد، والذي هو استجابة أو رد فعل للفرد، لا يتضمن فقط الاستجابات والحركات الجسمية، بل يشتمل على العبارات اللفظية والخبرات الذاتية..."[9]

منهج الدراسة:

تعرف **مادلين غراويتز** المنهج على انه: "وسيلة للوصل إلى مظهر من مظاهر الحقيقة، وللإجابة بشكل خاص جدا على سؤال كيف؟"[10] والمعنى العام للمنهج هو الأسلوب الذي يقود إلى هدف معين في البحث. وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي الذي يعرف بأنه: "طريقة لوصف الظاهرة المدروسة وتصويرها كميا، عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة وتصنيفها، وتحليلها، وإخضاعها للدراسة الدقيقة."[11]

أدوات جمع البيانات: كانت الاستمارة هي الأداة التي اعتمدناها في جمع بيانات حول الموضوع محل الدراسة، وقد قمنا بمقابلة الأفراد وملئها انطلاقا من إجاباتهم التي كانت ضمن البدائل التي

وضعناها من قبل والخاصة بكل سؤال. وقد احتوت على (43) سؤالا موزعة على ثلاث (03) محاور، كان أولها متعلق بالسمات الخاصة للمبحوثين، والثاني حول الأسرة، التنشئة الاجتماعية والقيم، أما الثالث فقد خصصناه لتكنولوجيا الاتصال والقيم. وبما أن الأسئلة لا تتناسب ودرجة وعي الأطفال ومستواهم الثقافي، قمنا بمساءلة الوالدين انطلاقا من ملاحظاتهم اليومية لأطفالهم، كذلك لتواجدهم المستمر معهم وتفاعلهم واحتكاكهم بهم.

عينة الدراسة:

تعرف العينة على أنها تلك المجموعة من العناصر أو الوحدات التي يتم استخراجها من مجتمع البحث ويجري عليها الاختيار والتحقق[12].ونظرا لصعوبة الوصول لحصر شامل لعدد الأسر المقيمة بمدينة فرندة – والتي تمثل مجتمع بحثنا–فقد تم اختيار عينة بطريقة غير احتمالية عشوائية على مستوى الأسر من أحياء مختلفة بمدينة فرندة، شرط أن تتوفر على أطفال في الطور الابتدائي من التعليم ما بين سن 05 و12 سنة، كما اشترط توفر الأسر على وسيلة التلفزيون بقنوات تلفزيونية فضائية وتوفر خدمة الانترنيت بالمنزل مكان الإقامة. وقد كان تقسيمها حسب أحياء المقيمة بها كما يلي:

الرسم البياني رقم 01: توزيع الأسر حسب الحي المقيمة به

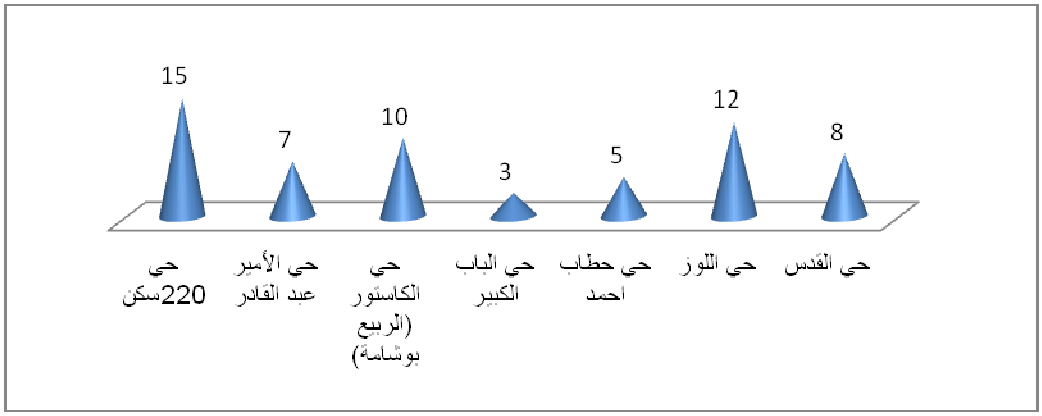

خصائص العينة:

الرسم البياني رقم 02: توزيع أفراد العينة حسب متغير النوع.

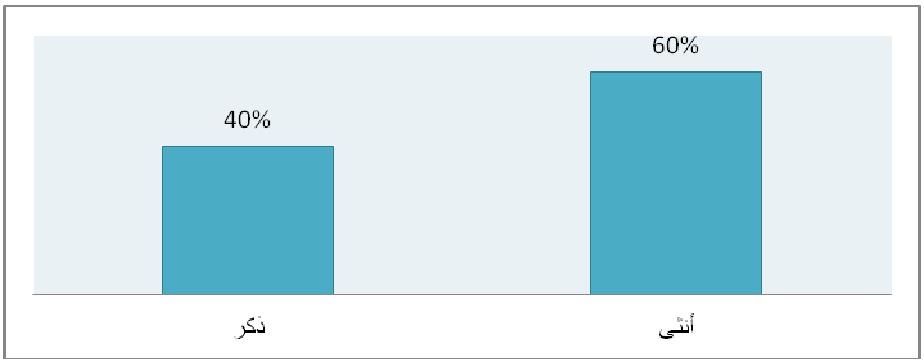

من خلال الرسم البياني أعلاه، يتضح لنا أن نسبة الإناث الذين تم استجوابهن قدرت ب 60%، في حين أن نسبة الذكور كانت 40%، وهذا راجع إلى طريقة اختيارنا للعينة، والتي كانت الأسر المقيمة بمدينة فرندة والتي غالبا ما نجد فيها المرأة داخل بيتها، بينما الرجل يكون خارج البيت إما للعمل ولانشغالات أخرى، الأمر الذي سمح لنا باستجواب الإناث أكثر من الذكور.

الرسم البياني رقم 03: توزيع أفراد العينة حسب متغير المستوى التعليمي.

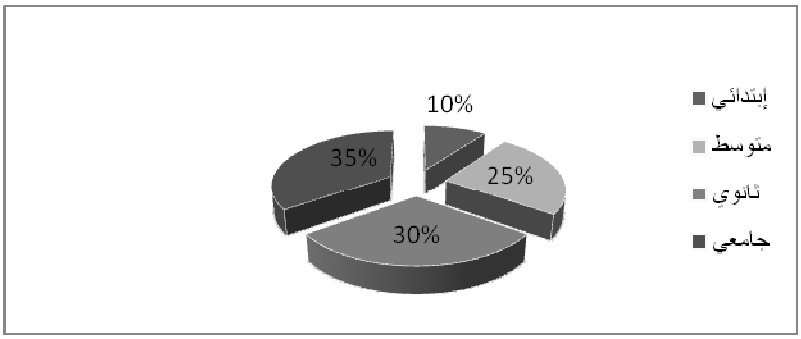

من خلال الرسم البياني أعلاه، يتضح أن أعلى نسبة قدرت ب 35%، والتي كانت لذوي المستوى التعليمي الجامعي، تليها نسبة الأفراد ذوي المستوى التعليمي الثانوي والمقدرة ب 30%، ثم

المستوى التعليمي المتوسط ب 25%، فالابتدائي بنسبة 10%، في حين لم نسجل أي نسبة لذوي المستوى التعليمي الأمي. وقد تم عرض هذه النتائج ليتم ربطها لاحقا مع أسلوب التنشئة المعتمد من قبل الوالدين وكذلك مع طريقة استخدام الأطفال لتكنولوجيات الاتصال وأسبابه.

الرسم البياني رقم 04: توزيع أفراد العينة حسب متغير المستوى المعيشي

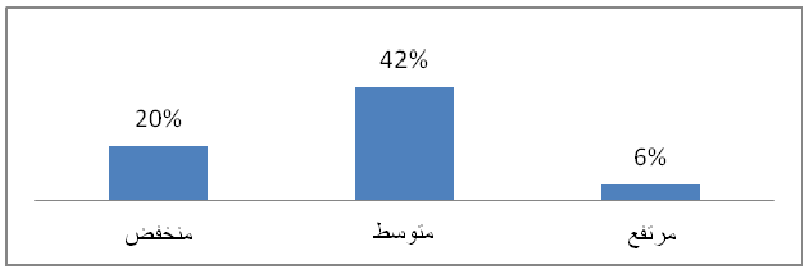

تظهر النتائج المبينة في الرسم أعلاه أن الأسر من ذوي المستوى المعيشي المتوسط قدرت نسبة تواجدها في العينة ب 42%، تليها بعد ذلك نسبة الأسر من ذوي المستوى المعيشي المنخفض ب 20%، ثم ذات الدخل المرتفع بنسبة 06%. وقد قمنا بعرض هذه النتائج قصد ربطها فيما بعد بعادات استخدام الأطفال للتكنولوجيات التي توفرها لهم أسرهم.

الرسم البياني رقم 05: توزيع أفراد العينة حسب نوع الأسرة

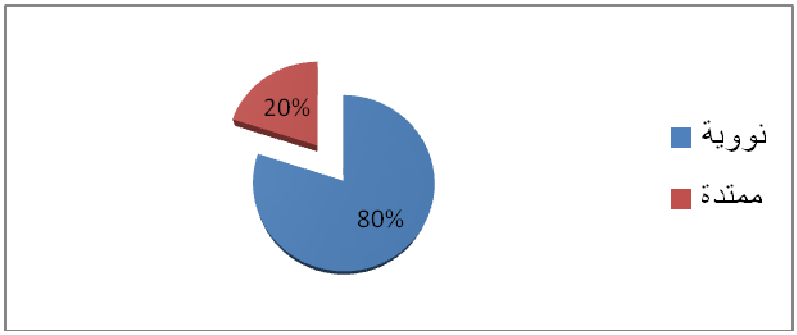

يتضح لنا من خلال الرسم البياني أعلاه، أن نسبة 80% تعود إلى الأسر النووية، في حين أن 20% من الأسر الممتدة، يرجع ذلك إلى طريقة اختيارنا للأسر والتي كانت بصفة عشوائية،

لكن يمكن أن يعكس لنا ذلك جزء من التغير البنيوي الذي عرفته الأسرة الجزائرية، ويتوجب علينا الإشارة إلى أن الأسرة تبقى ممتدة من حيث العلاقات، التضامن المادي والمعنوي بين أفرادها خاصة في المناسبات، أما الأسر النووية فهي موجودة ظاهريا وتتجلى في استقلالية السكن أو مكان الإقامة في أغلب الأحيان.

عرض ومناقشة النتائج:

1. التنشئة الاجتماعية الصارمة وإعادة إنتاج القيم في الأسرة الجزائرية:

الأسرة وحسب تراث الأنتروبولوجيا وعلم الاجتماع، هي "وحدة قرابية"[13]وهي الخلية الأساسية للمجتمع، تشرف على وظيفة التنشئة الاجتماعية لأفرادها والتي يصفها **إيميل دوركايمDurkheim** بأنها "عملية إزاحة الجانب البيولوجي البحت من نفسية الطفل وإحلال نماذج السلوك الاجتماعي محله، كما أنها العملية التي تنقل الثقافة من جيل إلى آخر"[14]، هذه الثقافة يقول **ماردوك Murdock** بأنها "ليست شيئا غريزيا ولا فطريا ولا تنتقل بيولوجيا، بل هي مكونة من عادات واتجاهات مكتسبة من خلال خبرة الفرد الذاتية"[15].

وقد كشفت لنا عينة البحث عن أسلوبها المنتهج للقيام بعملية التنشئة الاجتماعية، والذي يركز أساسا على الضبط والصرامة من أجل السيطرة على تصرفات أطفالها، وفرض معايير السلوك المرغوب فيه، حيث صرح 75% باهتمامهم بمكان تواجد أطفالهم إذا ما تأخروا عن العودة إلى البيت، ويحرص 65% من المبحوثين على معرفة الأصدقاء الذين يرافقهم أطفالهم، "خاصة لما لجماعة الرفاق من مكانة وقدرة على التأثير في سلوك الطفل، كونها تضم جماعة متناسقة من حيث العمر ومستوى التفكير، ويمكنها أن تعلم الطفل خبرات وقيم لا يمكن أن يكتسبها في الأسرة"[16].

هذا ويهتم 80% من أفراد العينة بالنتائج الدراسية للأطفال، ويتابعونهم طيلة مشوارهم الدراسي خاصة خلال مراحله الأولى، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على اهتمام الأولياء **بقيمة العلم والمعرفة**، ورغبتهم في غرسها في شخصيات أطفالهم خاصة وأن أغلبهم – وحسب ما جاءت به نتائج الدراسة–من مستويات تعليمية ثانوية وجامعية (30% و35% على التوالي).

إن للمستوى التعليمي للوالدين بالغ الأثر على شخصية الطفل، إذ أنه "كلما كان مرتفعا، كلما أدى ذلك إلى رفع مستوى طموح الطفل، خاصة في ظل محيط آمن وجو ملائم للنجاح ومحفز للتفوق، كما أن له انعكاس على نوع وأسلوب التنشئة المتبع لتطبيع الطفل، حيث يؤدي إلى تهذيبه وتعويده على المعاملة الايجابية، كما يؤدي إلى إثراء القاموس اللغوي للطفل خاصة إذا كان الحوار الأسري قائما وفعالا بين أفراد الأسرة، إن الأهل يورثون أطفالهم بشكل غير إرادي إرثا ثقافيا يكون أكثر أهمية كلما تلقى الأهل بالذات تعليما أعلى وكلما شغلوا مناصب أهم"[17].

وبالحديث عن أسلوب التنشئة الاجتماعية المتبع لتطبيع الطفل، صرح 20% من المبحوثين بتوبيخهم للطفل أمام إخوته في حال ما قام بسلوك غير مرغوب فيه، وذلك لضبط تصرفاته من جهة، ولتمرير نفس الرسالة لبقية إخوته إذا ما أراد أحدهم تكرار نفس السلوك، كذلك من أجل إظهار عواقب القيام بمثل تلك الأفعال غير المرغوب فيها في الأسرة، وهي وسيلة – حسب ما يرى المبحوثين– لتعليم الأطفال قيمة **المسؤولية**، بدءا من مسؤوليةتحمل عواقب الأفعال التي يقومون بها إلى غاية مسؤولية الإشراف على التربية السوية لأطفالهم –كجيل ثالث بعد جيل الآباء والأبناء– مستقبلا. لكن هذا الأسلوب من التنشئة عادة ما "يفقد الطفل إحساسه بالأمن النفسي والطمأنينة "[18]لأن إثارة الألم النفسي "وإشعار الطفل بالذنب كلما أتى بسلوك غير مرغوب فيه غالبا ما ينتج عنه شخصية إنسحابية، منطوية وغير واثقة من نفسها، مرتبكة وتوجه عدوانها نحو ذاتها"[19].

ويفضل 50% من المبحوثين استعمال أكثر من أسلوب في عملية التنشئة الاجتماعية لأطفالهم، وقد ذكروها كما يلي: **الحرمان من بعض الحاجيات المادية والعاطفية، التجاهل، العقاب الجسدي، والتسامح**. قد تستعمل فُرادا أو قد يتم جمعها كلها وانتهاجها، وذلك حسب نوع السلوك الصادر من الطفل ودرجة مخالفته لما هو مرغوب في داخل الأسرة.

أغلب هذه الطرق تعكس أسلوب الضبط والصرامة المنتهجة خلال عملية التنشئة الاجتماعية، "وهو الأسلوب الذي تميل إليه أغلب الأسر الجزائرية للسيطرة وفرض معايير السلوك التقليدية باستخدام السلطة"[20].

إن استخدام هذه الأساليب لا يمنع المبحوثين من منح بعض الحرية لأطفالهم إزاء بعض الأمور، حيث يترك 70% من أفراد العينة لأطفالهم حرية اختيار اللباس الذي يرتدونه، لكن في حدود أن يكون محتشما وغير فاضح خاصة بالنسبة للإناث. هذا التصرف يرى المبحوثين أنه يساعد الأطفال على تعلم قيمتي **الحرية والحياء**، لكن دائما في حدود الفضاء الذي يرسمه الوالدان دون إظهار معالمه لأطفالهم، وهي الفكرة التي أشار إليها جون جاك روسو بقوله: دع الطفل يعتقد أنه سيد نفسه، وكن أنت سيده. وعن الحرية فهو يرى بأنها "كينونة صماء لا تقبل التجزئة والانشطار، ولا يمكن لإنسان ما أن يكون حرا في المستوى العقلي أو العاطفي بجسد مهزوم ومحاصر"[21]. إضافة إلى الحرية، يستعمل الأولياء أسلوب الحوار من أجل إقناع أطفالهم بضرورة الإقلاع على السلوك غير المرغوب فيه وعدم تكراره، وذلك من خلال منح بديل ايجابي للسلوك السلبي، حيث صرح 35% من المبحوثين بقيامهم بذلك، مقابل 65% منهم ممن يفضلون تقديم الحجج والبراهين لشرح وتفسير السلوك وعواقبه، وهي حجج مستقاة من أصول دينية بنسبة 23% ومن أصول ثقافية بنسبة 77% كما هو موضح في الجدول رقم 01.

الجدول رقم 01: توزيع أفراد العينة حسب كيفية إقناع أطفالهم للإقلاع عن السلوك الخاطئ.

كيفيةالإقناع		التكرار		النسبةالمئوية	
منحبديللسلوكالسلبي		21		35%	
تقديمالحججوالبراهين	ذاتأصولدينية	39	09	65%	23%*
	ذاتأصولثقافية		30		77%*
المجموع		60		100%	

* نسبة المبحوثين من مجموع 39 الذين يفضلون تقديم الحجج و البراهين.

في هذه المرحلة، يظهر لنا وبصفة جلية كيف يقوم الأولياء بإعادة إنتاج القيم التي توارثوها هم في حد ذاتهم من آبائهم وأجداهم من جهة، والتي اكتسبوها من تعليمهم من جهة أخرى والجدول رقم 02 يقدم لنا دلالات أكثر وضوحا حول ذلك. إذ يصرح 20% من المبحوثين على أن الحجج التي يقدمونها لأطفالهم ذات الأصول الثقافية تعكس العادات والتقاليد الموروثة من أجدادهم، وبنفس النسبة يصرح المبحوثين على أن الحجج مستقاة من الأساطير والخرافات والقصص الخيالية التي اكتسبوها من التراث الثقافي الشفوي الذي كان أجدادهم يروونه لهم في صغرهم قصد تخويفهم من عواقب سوء تصرفهم (الغولة، العواوة، عروسة السما، اللّماسة، مولاة العتبة، بولولو...)، بينما يعتمد 20% من المبحوثين على الحقائق العلمية والبراهين المنطقية لشرح وتفسير السلوك ونتائجه، ليبقى 40% ممن يجمعون بين كل المراجع سابقة الذكر قصد تغيير السلوك الخاطئ الصادر من الطفل، ولكن دائما حسب درجة الخطأ والمستوى العقلي والفكري للطفل.

"إن الرأسمال الثقافي له دور حاسم في عمليتي تحديد وإعادة إنتاج الواقع والأدوار الاجتماعية"[22]، كذلك إنتاج القيم ونقلها من الأسرة إلى أطفالها وإدماجها في شخصياتهم وذواتهم من أجل تكوين علاقات اجتماعية (زمالة، صداقة، قرابة...) و"مواقف تفرض على الطفل الالتزام بقواعد السلوك والامتثال للمعايير الاجتماعية التي تحكمه، وهو ما يشكل الرأسمال الاجتماعي للطفل الذي يحدد مكانته وأدواره داخل الجماعات الاجتماعية التي ينتمي إليها، ويمنحه الهيبة والسيرة الحسنة والسمعة الطيبة، والتي تعد كلها دلالات للرأسمال الرمزي "[23].

الجدول رقم02: توزيع أفراد العينة حسب مصادر الحجج الثقافية المعتمدة في الإقناع.

مصدرالحججالثقافية	التكرار	النسبةالمئوية
العاداتوالتقاليد	06	20%
الحقائقالعلميةتعليمية	06	20%
العاداتوالتقاليد + الحقائقالعلمية	12	40%
أكثرمنمصدر	06	20%
المجموع	30	100%

مما سبق عرضه، نجد أن المعطيات الميدانية تثبت لنا انتهاج الأسر محل الدراسة لأسلوب السيطرة والضبط عن طريق العقاب البسيط والإقناع والحوار، وهي سيطرة مقصودة للتدخل حتى لا يصل الطفل إلى درجة الانفلات والانحراف، كما أنها تهدف إلى زرع قيم الانضباط واحترام الوقت من خلال الاهتمام بمعرفة أماكن تواجد الأطفال خارج البيت وعدم التأخر في العودة إليه، قيمة المسؤولية بموجب تحمل عواقب الأخطاء والأفعال غير المرغوب فيها، قيمة العلم المجسدة في حرص الوالدين على النتائج الدراسية لأطفالهم، قيمتي الحياء والحرية خاصة في اللباس... كلها قيم مستقاة

من مرجعية دينية ومن العادات والتقاليد التي نشأ عليها الأولياء وتعلموها من محيطهم الاجتماعي والتي يسعون إلى توريثها لأطفالها خلال عملية تنشئتهم وتربيتهم.

تتفق هذه النتيجة وما تم التوصل إليه في دراسة للباحث عزي حسين بعنوان[24]الأسرة ودورها في تنمية القيم الاجتماعية لدى الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة، حيث أكد على الدور الذي تلعبه الأسرة في تنمية القيم الاجتماعية كقيمة التعاون، العفو والأمانة.

2. تكنولوجيا الإعلام والاتصال: الاستخدام والآثار.

تعرف تكنولوجيا الإعلام والاتصال على أنها "مجموعة من التقنيات والأدوات أو الوسائل أو النظم المختلفة التي يتم توظيفها لمعالجة المضمون أو المحتوى الإعلامي والاتصالي الذي يراد توصيله من خلال عملية الاتصال الجماهيري أو الشخصي أو الجمعي أو التنظيمي أو الوسطي، أو التي يتم من خلالها جمع المعلومات والبيانات المسموعة أو المكتوبة أو المصورة، أو المرسومة أو الرقمية من خلال الحاسبات الإلكترونية أو الكهربائية حسب مرحلة التطور التاريخي لوسائل الاتصال والمجالات التي يشملها التطور"[25].

وقد حددت هذه الوسائل من قبل المبحوثين فيما يلي: التلفزيون بقنواته الفضائية، خدمة الانترنيت عبر الحاسوب المحمول والمكتبي والهاتف واللوحات الإلكترونية، Play station والألعاب الإلكترونية المختلفة، إذ يقبل 60% من الأطفال –حسب تصريحات المبحوثين- على استخدام كل هذه الوسائل استخدامات متعددة، بينما يؤكد 40 % منهم على استخدام أطفالهم فقط لتقنيتي التلفزيون بقنواته الفضائية (الخاصة والعمومية، المتخصصة والعامة، العربية والأجنبية) وخدمة الانترنيت على حواملها المتعددة، ويحتل استخدام التلفزيون الصدارة مقارنة بالحاسوب كونه الأقدم من الناحية التاريخية والأوسع من ناحية الانتشار.

لقد دخل المجتمع الجزائري ميدان البث التلفزيوني الفضائي منذ منتصف الثمانينات مع إطلاق فرنسا لقمرها الصناعي في أكتوبر 1985، حيث كان امتلاك الهوائيات في البداية حكرا على المؤسسات العامة والفئات الميسورة اجتماعيا فقط، وبظهور الهوائيات الصغيرة ذات الاستعمال الفردي والأسعار الميسورة، زاد انتشارها وأصبحت ملكا لأغلب أفراد المجتمع ولم يبقى استخدام الهوائيات حكرا على المدن، بل حتى الأرياف والقرى وأصبح المواطن الجزائري يتلقى كما هائلا من القنوات الفضائية الحاملة لقيم المجتمع الغربي، بل تمتد هذه القيم لتسوق معها العادات والتقاليد فاسحة المجال للصراع الدائم بين الأنا والآخر، بين الأصيل والدخيل، بين الثقافة الوطنية الأصلية والثقافة الوافدة المصنعة[26]. عموما يمكن تفسير أسباب انتشار الهوائيات بعاملين اثنين: العامل المادي والعامل الثقافي الاجتماعي، ونظرا لخصائص العينة لا يمكن أن نعتبر المستوى التعليمي للوالدين والمستوى المعيشي عائقا أمام استخدام أطفالهم لهذه التكنولوجيا.

وفيما يخص خدمة الانترنيت، فقد عرفت إقبالا متزايدا من قبل أفراد المجتمع الجزائري، خاصة مع مشروع كمبيوتر لكل أسرة والمسمى بـ: Ousratic، الذي تم إطلاقه في أواخر عام 2005، "ويقوم على توفير حاسوب لكل عائلة الهدف منه تعميم أجهزة الحواسيب المصغرة وخدمة الانترنت في المنازل الجزائرية، بحيث يتيح للأسر المهتمة اقتناء قرض بنكي ابتداء من 3200 دينار جزائري للشهر من أجل شراء باك يتكون من حاسوب مكتبي Micro-ordinateur واشتراك انترنت ADSL"[27].

هذا الانتشار طرح إشكالا حول استخدام الأطفال لهذه التكنولوجيات، ومن ثَمَ الآثار الناتجة عن هذا الاستخدام، وقد صرح 70% من أفراد العينة على جمع أطفالهم بين الاستخدام الصحيح والخاطئ معا لهذه التقنيتين (التلفزيون والحاسوب)، ليبقى الحد الفاصل بين الصحيح والخطأ معيارين أساسين هما أسباب الاستخدام وطبيعة المحتويات المستهلكة.

فحول أسباب الاستخدام، تشير المعطيات الميدانية إلى أن 45% من المبحوثين يميل أطفالهم لاستخدام القنوات التلفزيونية الفضائية لما لها من مميزات تتمثل في سهولة الاستخدام بالدرجة الأولى، تليها أساليب العرض، قوة الجذب، تنوع البرامج، شخصيات وأبطال العرض، وهي عناصر من شأنها أن تشبع حب الإطلاع لديهم وتمكنهم من معرفة العالم حولهم وإلى حد ما تمنحهم فرصة عيش أدوار خيالية لا تسمح لهم الأسرة بتقمصها وعيشها خلال تفاعلهم اليومي داخل فضاء المنزل. أما عن الانترنيت فيصرح 55% من المبحوثين أن أطفالهم يستخدمونها لغرض الترفيه ثم التواصل الاجتماعي فاللعب وأخيرا من أجل الدراسة وبدرجة أقل.

وعن طبيعة المحتويات التي تعرضها هذه التكنولوجيات، فيرى 65% من المبحوثين أنها تتعارض مع ديننا وثقافتنا وواقع مجتمعنا وأخيرا مع قيمنا، وقد كشفت الدراسة عن قدرة القنوات التلفزيونية الفضائية على إكساب أطفالهم مجموعة من القيم،حيث صرح 85% أن هذه القنوات استطاعت غرس قيمة الوطنية في سلوك أطفالهم. وعن قيمتي المصلحة العامة والاستقلالية فقد أجمع 70% بالتساوي على أن أطفالهم اكتسبوها من خلال مشاهدتهم لهذه القنوات. وصرح المبحوثين وبنسبة 60 % لصالح القنوات الفضائية وقدرتها على غرس قيمة التعاون في أطفالهم، وما نسبته 55 % لقيم: الانتماء، الواجب والطاعة، وفيما يخص قيمة التسامح، فيقر نصف أفراد العينة –بنسبة 50 %– أن أطفالهم تعلموها بسبب مشاهدتهم للقنوات التلفزيونية الفضائية، وعن قيمة الأمانة، الاحترام، العدل فقد أجمع 65%من المبحوثين عن عدم قدرة الفضائيات على غرسها في سلوك أطفالهم خاصة أن لها منابع أخرى تستقى منها أولها الأسرة، وحول نفس الرأي السلبي تجاهها ، فيرى 55 % أنها لا تقوم بغرس قيمي الحياء والكذب في شخصيات أطفالهم، والجدول رقم 03 يوضح ما تم الحديث عنه بصفة أكثر دقة.

الجدول رقم 03:

القيم التي تقوم القنوات التلفزيونية الفضائية بغرسها في الأطفال من وجهة نظر الوالدين

القيم	نعم		لا		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
الانتماء	33	55%	27	45%	60	100%
الكذب	27	45%	33	55%	60	100%
الوطنية	51	85%	09	15%	60	100%
الواجب	33	55%	27	45%	60	100%
الحياء	27	45%	33	55%	60	100%
الطاعة	33	55%	27	45%	60	100%
العدل	21	35%	39	65%	60	100%
المصلحةالعامة	42	70%	18	30%	60	100%
التسامح	30	50%	30	50%	60	100%
استقلالالفرد	42	70%	18	30%	60	100%
التعاون	36	60%	24	40%	60	100%
الأمانة	21	35%	39	65%	60	100%
الاحترام	21	35%	39	65%	60	100%

لكن هذا لا يعني أنها لا تغرس البعض من القيم السلبية خلال ترويجها للمسلسلات والأفلام والبرامج الإعلامية ذات الإنتاج الغربي خاصة، فقد توصل الباحث عيسى الشماس في دراسة قام بها على عينة من طلبة كلية التربية بجامعة دمشق، كانت بعنوان: تأثير الفضائيات التلفزيونية الأجنبية

على الشباب، إلى نتيجة مفادها أن للفضائيات الأجنبية القدرة على خلخلة القيم الاجتماعية، حيث أنها تتسبب في حدوث تغيرات واضطرابات في العلاقات الاجتماعية، وتعمل على تنمية الذاتية / الفردانية والتحلل من الالتزام الاجتماعية (الجماعي) كما أنها تعرض القيم السلبية (القسوة، العنف، التعصب، العدوانية، الخيانة، السرقة، الخداع...) والتي تعارض القيم والعادات الأساسية في المجتمع العربي[28].

لم تكن القيم هي الجانب الوحيد الذي تأثر باستخدام تكنولوجيا الاتصال، بل هناك عدة آثار نتجت عن استخدام الأطفال للأنترنيت خاصة، هذه الآثار تتجسد في السلوكيات التي تظهر يوميا على الأطفال، وهي كما يوضحها الجدول رقم 04.

الجدول رقم 04: اتجاهات الوالدين نحو الآثار الناتجة عن استخدام أطفالهم للإنترنيت

آثارالاستخدام	موافق		محايد		معارض		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
الإحساسبالعزلة	36	60%	06	10%	18	30%	60	100%
الحدمنمهارةالاتصالالشخصي	36	60%	09	15%	15	25%	60	100%
قلةالتفاعلمعأفرادالأسرة	42	70%	06	10%	12	20%	60	100%
إهدارالقيمالاجتماعية	45	75%	09	15%	06	10%	60	100%
أمراضجسدية	21	35%	12	20%	27	45%	60	100%
إضعافالاستحياءتجاهالممنوعاتالثقافية	30	50%	24	40%	06	10%	60	100%

إن القيم هي ما يحدد سلوك الفرد وأفعاله ومواقفه الاجتماعية، حيث "ينشأ الفرد في ضوء قيم اجتماعية خاصة تُكَّون بيئة الجماعة الأوليةلكن في ضوء ما يتعرضله الفرد خلال تجواله في الإنترنت من قيم ذات تأثير ضاغط بهدف إعادةتشكيله تبعاًلها بما يُعرف في مصطلح علم النفس بتأثير الجماعة المرجعيةمماقد يؤدي إلى محو آثار الجماعة الأولية عليه مما يفقده الترابط مع مجتمعهالمحيط به

ويعرضه للعزلة والنفور ومن ثم التوتر والقلق"[29] حيث تتوافق هذه الفكرة مع ما كشفت عنه دراستنا الميدانية من آثار الناتجة عن استخدام الأطفال للانترنيت، فقد صرح 75% من المبحوثين على أن استخدام الانترنيت أدى إلى إهدار القيم الاجتماعية، وعن تفاعل أطفالهم مع أفراد الأسرة، وافق 70% من المبحوثين على قلة حجم التفاعل نتيجة استخدام الانترنيت، أما عن الإحساس بالعزلة والحد من مهارة الاتصال الشخصي فنجد بنفس النسبة والتي قدرت بـ: 60 % من المبحوثين الذين يوافقون على ذلك، وهو الأمر الذي أشارت إليه سابقا "دراسة أجرتها مجلة عالم المعرفة، حيث كشفت أن 40% من المبحوثين (الشباب) أفادوا أن شبكة الانترنيت أثرت عليهم من الناحية الاجتماعية وجعلتهم أكثر انفرادا، هذا ويخشى كثير من الباحثون أن تؤدي الإنترنت إلى غياب التفاعل الاجتماعي لأنالتواصل فيها يحصل عبر أسلاك ووصلات وليس بطريقة طبيعية"[30]مما يؤدي إلى "تقليل مقدرة الفرد على خلق شخصية نفسية سوية قادرة على التفاعل مع المجتمع والواقع المعاش"[31].

وقد صرح 35% من المبحوثين عن معانات أطفالهم من أمراض جسدية نتيجة استخدامهم للانترنيت من بينها ضعف البصر وانحناء الظهر والانطواء، وهي نتيجة تتوافق وما توصلت إليه الباحثة رولا الحميصي في دراسة لها بعنوان: إدمان الانترنيت عند الشباب وعلاقته بمهارات التواصل الاجتماعي، حيث توصلت إلى جملة من الآثار الصحية الناتجة عن استخدام الانترنيت نذكر منها: "الأضرار التي تصيب الأيدي من الاستخدام المفرط للفأرة، أضرار تصيب العين نتيجة للإشعاع الذي تبثه شاشات الحاسوب، أضرار تصيب العمود الفقري والرجلين نتيجة نوع الجلسة والمدة الزمنية لها مقابل أجهزة الحاسب، أضرار تصيب الأذنين لمستخدمي مكبرات الصوت، أضرار مترافقة مثل البدانة وما تسببه من أمراض مرافقة"[32].

هذا ويجمع نصف أفراد العينة على الأضرار الأخلاقية لاستخدام الانترنيت من قبل أطفالهم، حيث يوافقون على قدرتها على إضعاف الاستحياء تجاه الممنوعات الثقافية لمجتمعنا، من خلال مواقعها الإباحية المروجة للجنس والأفعال المخلة بالحياء والعقائد الباطلة والداعية للعنف والعنصرية والأنشطة غير القانونية، وهي جميعها أنماط سلوكية مجسدة للقيم الغربية المنافية لقيم المجتمع الجزائري المتشبع بالثقافة الإسلامية التي تنص على ضرورة التمسك بقيم الحياء والاحترام والأمانة والعدل والصدق...

خاتمة:

نالت القيم من الأهمية ما لم تبلغه العديد من المواضيع المدروسة، ذلك لأنها أحد أهم محاور تربية الفرد وضبط سلوكه، تحدد المرغوب وغير المرغوب في تصرفاته، كما أنها تمنح الأشياء وزنا وقيمة وتوفر للأفراد الحافز لتحقيق ذواتهم وإثبات وجودهم. وقد توصلت الدراسة إلى إجماع المبحوثين على أن الأسرة من أهم مصادر القيم وأولها، تليها بعد ذلك تكنولوجيات الاتصال التي تحتوي على ما قد يعزز السلوك المرغوب فيه لدى أطفالهم خاصة التلفزيون بقنواته الفضائية المختلفة والانترنيت بمواقعها المتنوعة، وقد تحتوي ما من شأنه تحطيم البنية القيمية الأسرية، وهي الفكرة التي أكدها هارولد لاسويل Harold Lasswell سابقا، فحسبه أن المجتمعات البدائية كانت تعيش في نطاق العائلات وكان الآباء والأمهات هم الذين ينقولن القيم والتراث الثقافي عبر الأجيال، لكن تطور المجتمعات أوجب قيام وسائل الإعلام بدور نقال القيم.

يبقى على الوالدين وبحكم مسؤوليتهم تجاه أطفالهم وفي إطار التنشئة الاجتماعية لهم أن يوجهوا استخدام أطفالهم لهذه التكنولوجيات حسب ما يسعون لغرسه في أطفالهم، كما ينبغي عليهم كذلك توعية أطفالهم بمخاطر تكنولوجيا الإعلام والاتصال من أجل حماية أنفسهم منها ووضع إرشادات وقواعد للاستخدام الواعي والصحيح لها.

إن نتائج الدراسة الحالية تبقى صحيحة في حدود المجال المكاني والزمني ومجتمع البحث الذي تمت فيه الدراسة على العينة المختارة فقط.

الهوامش:

1 علاء الدين، الكافي. **رعاية نمو الطفل**. القاهرة: دار قباء، 1998، ص 34.

2 رولان، بيرس. **معجم علم السكان**. ترجمة مصطفى خلف عبد الجواد.القاهرة: مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2007، ص 144.

3 مولود، ديدين. **قانون الأسرة**. الجزائر: دار النجاح للكتاب، 2006، ص 04.

4 محمد عبد الشفيع، عيس. **العالم الثالث والتحدي التكنولوجي العربي**. بيروت: دار الطباعة والنشر، 2006، ص 35.

5محمد، جمال الفار. **المعجم الإعلامي**. عمان: دار أسامة المشرق العربي، 2006، ص ص 102-103.

6 عبد الرحمان، عزي. **الثقافة وحتمية الاتصال، نظرة قيمية**. مجلة المستقبل العربي، العدد 295، 2003، ص 15.

7 نصير، بوعلي. **مفاهيم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام عند عبد الرحمان عزي**. مقاربة نقدية، ص 89

8 عبد الله، بوجلال. **أثر مشاهدة التلفزيون على القيم الثقافية والاجتماعية لدى الأطفال**. مجلة المعيار، العدد 07، ديسمبر 2003، الجزائر، ص ص 37، 38.

9 السعيد، بومعيزة. **أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب**. دراسة استطلاعية بمنطقة البليدة، رسالة دكتوراه، 2005-2006 الجزائر، ص 164.

10 مادلين، غراويتز. **منطق البحث في العلوم الاجتماعية**. ترجمة سام عمار. دمشق: المركز العربي للتعريب، 1993، ص 96.

11 بلقاسم، سلاطنية. حسن، جيلالي. **مدخل لمناهج البحوث الاجتماعية**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2014، ص 142.

12 سعيد، سبعون. **الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع**. الجزائر: دار القصبة، 2012، ص 135.

13 رولان، بيرس. مرجع سبق ذكره ص 144.

14 حسين عبد الحميد، رشوان. **الأسرة والمجتمع، دراسة في علم اجتماع الأسرة**. مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2003، ص151.

15 إيناس، محمد غزال. **الإعلانات التلفزيونية وثقافة الطفل**. مصر: دار الجامعة الجديدة، 2001، ص 79.

16 أسامة، ظافر كبارة. **برامج التلفزيون والتنشئة التربوية والاجتماعية للأطفال**. لبنان: دار النهضة العربية، 2003، ص75.

17 إيمان، عبد النبي بلوط. **سوسيولوجيا أفلام الكارتون وتطبيع الطفل العربي**. لبنان: منتدى المعارف، 2014، ص ص 72-73.

18 وفيق، صفوة مختار. **الأسرة وأساليب تربية الأطفال**. مصر: دار العلم والثقافة، د. ت، ص 259.

19 عبد الله، زاهي الرشدان. **التربية والتنشئة الاجتماعية**. الأردن: دار وائل للنشر، 2005، ص 113.

20 أسماء، رتيمي. "التنشئة الأسرية والمخرجات السلوكية للابن الحدث". **المجلة الجزائرية للطفولة والتربية**. 6(2014)، ص ص 232-233.

21 علي أسعد، وطفة. **الثورة التربوية في فلسفة جان جاك روسو الطبيعية**. تاريخ النشر:21-04-2012. www.civicegypt.org

22محمد، أعويش. **بيير بورديو وأطروحة إعادة الانتاج الاجتماعي**. تاريخ النشر: 29-05-2016. www.new-educ.com

23جميل، حمداوي. **المفاهيم السوسيولوجية عند بيير بورديو**. تاريخ النشر: 02-03-2015. www.adabfan.com

24محمد، جمال الفار. **المعجم الإعلامي**. عمان: دار أسامة المشرق العربي، 2006، ص ص 102- 103.

25حسين، عزي. **الأسرة ودورها في تنمية القيم الاجتماعية لدى الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة**. مذكرة شهادة ماجستير غير منشورة في علم النفس الاجتماعي، جامعة المسيلة، الجزائر، 2014/2013، ص 229.

26نصير، بوعلي. **التلفزيون الفضائي وأثره على الشباب**. الجزائر: دار الهدى، 2005، ص ص 127- 128.

27نسرين سعدون. "واقع الفجوة الرقمية في الجزائر". **المؤتمر الدولي لتكنولوجيا المعلومات الرقمية**، الاتجاهات الحديثة في تكنولوجيا المعلومات، الأردن: جامعة الزرقاء، 09- 11 أكتوبر 2012، ص 13.

28عيسى الشماس. "تأثير الفضائيات التلفزيونية الأجنبية على الشباب". **مجلة جامعة دمشق**، 2(2005)، ص ص 16- 18.

29**مخاطر استخدام الانترنيت**. m5zn.com/newuploads/2014/11/20

30نفس المرجع.

31رولا، الحميصي. **إدمان الانترنيت عند الشباب وعلاقته بمهارات التواصل الاجتماعي**،دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة دمشق، ص 406.../2009_9_27/www.aun.edu.eg/conferences.

32نفس المرجع، ص 407.